



تاريخ الأقليات الدينية في العالم الإسلامي في ضوء الدراسات الاستثنائية - الأيزيديون أنموذجاً -

م.م. سباسر علي عودة
وزارة التربية العراقية/مديرية تربية محافظة بابل

التخصص الدقيق للبحث: التاريخ الاسلامي

التخصص العام للبحث: التاريخ

المستخلص باللغة العربية:

معلومات الورقة البحثية

يُعنى هذا البحث بدراسة الأقليات الدينية في العالم الإسلامي مع التركيز على الأيزيديين (الذين ورد ذكرهم في عدد من المصادر الإسلامية باسم اليزيديين) كنموذج، في ضوء المصادر التاريخية الإسلامية والدراسات الاستثنائية. ويهدف البحث إلى إعادة قراءة المصادر الإسلامية الأصلية وتحليلها نقدياً لتوضيح موقفها من الأقليات الدينية، وفهم طبيعة العلاقات الاجتماعية والسياسية بين الأغلبية المسلمة والأقليات، مع تقييم دقة المعلومات التي قدمها المستشرقون حول الأيزيديين.

اعتمد البحث المنهج التاريخي التحليلي، من خلال دراسة المصادر الكلاسيكية مثل (الطبري وابن الأثير والمقدسي وأحمد بن خلكان)، فضلاً عن إلى الكتب الفقهية التي تناولت أحكام غير المسلمين، ومقارنة هذه المصادر بالدراسات الاستثنائية المعتمدة. كما استخدم المنهج النقدي لتحديد ما هو موثق تاريخياً، وما قد يكون متأثراً بالانطباعات أو الصور النمطية، ما أتاح قراءة دقيقة لمكانة الأيزيديين في الفضاء الإسلامي.

أظهرت الدراسة أن المصادر الإسلامية الكلاسيكية، قدّمت إشارات مهمة عن الأيزيديين، وإن لم تتناولهم تفصيلاً. كما بيّنت أن العلاقات بين الأغلبية المسلمة والأقلية اليزيدية كانت متباينة حسب الزمان والمكان، وشملت أحياناً التعايش الجزئي والحماية القانونية وأحياناً أخرى النزاعات. كما أظهرت الدراسة أن الدراسات الاستثنائية - على الرغم من أهميتها - تضمنت أحياناً صوراً نمطية، تحتاج لتصحيح بالعودة إلى المصادر الإسلامية الأصلية.

وتوصل البحث إلى أن الأيزيديين تمكنوا من الحفاظ على هويتهم الدينية والاجتماعية، على الرغم من التحديات، وأن المصادر الإسلامية توفر أساساً دقيقاً لإعادة بناء تاريخهم وتصحيح بعض الانطباعات المستشرقية المغلوطة. ويوصي البحث بالاعتماد على المصادر الأصلية، وتحليل العلاقات الاجتماعية والسياسية ضمن الإطار التاريخي الإسلامي، والاستفادة من المقارنات بين المصادر الإسلامية والدراسات الاستثنائية للوصول إلى رؤية متوازنة وموضوعية.

تاريخ الاستلام
تاريخ القبول
تاريخ النشر

الكلمات الرئيسية:

الأقليات الدينية، العالم الإسلامي، الأيزيديون، المصادر الإسلامية، الدراسات الاستثنائية

المقدمة

يشكل موضوع الأقليات الدينية في العالم الإسلامي أحد الحقول البحثية الحيوية في الدراسات التاريخية؛ لما له من أثر محوري في فهم طبيعة التنوع الاجتماعي والديني والسياسي داخل المجتمعات الإسلامية عبر العصور. فقد ركزت الدراسات التقليدية على التيار الإسلامي السائد، إلا أن دراسة الأقليات تكشف عن طبقات معقدة من التفاعل بين الدين والسياسة والثقافة، كما تساعد على فهم أثر هذه الجماعات في تشكيل النُبية الاجتماعية للمنطقة التي عاشوا فيها. إن دراسة الأقليات الدينية تقدّم نافذة لفهم التاريخ الإسلامي بصورة أشمل، إذ تسلط الضوء على العلاقات بين الأغلبية الإسلامية والجماعات المختلفة، التي لم تنخرط بالكامل في المنظومة الدينية السائدة.

وقد وقع اختيار البحث على الأيزيديين (الذين ورد ذكرهم في عدد من المصادر الإسلامية باسم اليزيديين) نموذجًا لهذه الدراسة لاعتبارات متعدّدة، من أبرزها: أنهم واحدة من الجماعات الدينية التي حافظت على هويتها المتميزة منذ العصور الإسلامية المبكرة، وأن حضورهم في المصادر الإسلامية لم يكن مباشرًا أو واضحًا، مما يتيح المجال لتحليل كيفية تصوير المصادر الإسلامية للأقليات من منظور تاريخي. علاوة على ذلك، فإن دراسة الأيزيديين تسلط الضوء على طبيعة التفاعل بين الأغلبية المسلمة والأقلية الدينية، وهو جانب أساسي لفهم بنية المجتمع الإسلامي وتطوره عبر الزمن.

واجه البحث عددًا من الصعوبات أثناء إعداده، تمثلت في قلة الدراسات المتخصصة التي تناولت الأيزيديين ضمن الإطار التاريخي الإسلامي، وندرة الإشارات المباشرة إليهم في المصادر الإسلامية الكلاسيكية، فضلًا عن التباين الواضح بين الروايات الإسلامية والدراسات الاستثنائية وما شاب بعضها من تحيزات وصور نمطية. كما واجه صعوبة في التحقق من دقة المعلومات التاريخية بسبب اختلاف الروايات وتعدد الاتجاهات الفكرية والمذهبية للمصادر، الأمر الذي استلزم اعتماد منهج نقدي تحليلي يقوم على المقارنة والتحريض والربط بين المصادر المختلفة للوصول إلى رؤية تاريخية أكثر موضوعية وتوازنًا.

وتتبع أهمية هذا البحث من عدّة وجوه، فهو يسهم أكاديميًا في إثراء الدراسات التاريخية حول الأقليات الدينية، ويعزز الفهم النقدي لدور المصادر الإسلامية في نقل التاريخ الاجتماعي والديني. كما أنه يوفر رؤية دقيقة عن الأيزيديين، وموقعهم داخل العالم الإسلامي، ويكشف عن طبيعة علاقاتهم مع المجتمعات الإسلامية المختلفة والحكام المسلمين عبر العصور. فضلًا عن ذلك، فإن البحث يوضح كيفية التعامل مع المصادر التاريخية الإسلامية وتقييمها، بما يتيح استنتاجات دقيقة ومبنية على الأدلة التاريخية.

أما منهجية البحث، فتعتمد على المنهج التاريخي التحليلي، الذي يقوم على جمع وتحليل المصادر الإسلامية الكلاسيكية، ومقارنتها بالدراسات الاستثنائية المعتمدة. كما يستند البحث إلى المقاربة النقدية لتحديد ما يمكن اعتباره موثوقًا تاريخيًا، وما قد يكون متأثرًا بالتحيزات أو الصور النمطية. ويشمل ذلك دراسة المصادر التاريخية، مثل أعمال (الطبري، وابن الأثير، والمقدسي، وأحمد بن خلكان)، وتحليل الممارسات الاجتماعية والسياسية لليزيديين من خلال الوثائق والكتب الفقهية، مع مراعاة الربط بين هذه المصادر لتقديم رؤية متكاملة للموضوع.

اعتمد البحث على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي أسهمت في بناء الإطارين النظري والتاريخي له، وفي مقدمتها المصادر الإسلامية الكلاسيكية، مثل كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري، والكامل في التاريخ لابن الأثير، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لما توفره من معلومات تاريخية واجتماعية عن الأقليات الدينية والأيزيديين في العالم الإسلامي. كما استفادت من الدراسات الاستثنائية المهمة، وفي مقدمتها *Orientalism* لإدوارد سعيد، و *Yezidism: Its Background, Observances and Textual Tradition*، التي أسهمت في تحليل الرؤية الغربية للأيزيديين ومناهج الاستشراق في دراسة الأقليات. كذلك اعتمدت الباحثة على عدد من المراجع العربية الحديثة والدراسات المنشورة في المجالات العلمية المتخصصة، التي تناولت قضايا الأقليات الدينية، والنقد التاريخي، والتحويلات الاجتماعية والديمقراطية لدى الأيزيديين، مما أتاح للبحث مقاربة تحليلية نقدية تجمع بين المصادر التاريخية والرؤى الأكاديمية الحديثة.

ويتوزع البحث على أربعة مباحث رئيسية. فالمبحث الأول خصّص للرؤية الاستثنائية للأقليات الدينية في العالم الإسلامي، حيث يتناول تعريف الاستشراق ومناهجه المختلفة، ومفهوم الأقلية الدينية وأهمية دراستها في السياق التاريخي. أما المبحث الثاني فبحث تاريخ الأيزيديين في العالم الإسلامي، بما يشمل (أصلهم، وعقيدتهم، وانتشارهم الجغرافي، والتحديات التي واجهوها، وعلاقتهم بالمجتمعات الإسلامية الأخرى). في حين ركّز المبحث الثالث على رؤية الاستشراق للأيزيديين وتحليل النقد الحديث، ويستعرض أبرز المستشرقين الذين تناولوا موضوع الأيزيديين، ويقدم دقة المعلومات التي قدموها، ويحلّل الصور النمطية، وأثر الدراسات الاستثنائية في تشكيل الفهم

الغربي للأيزيديين. وأخيراً، تناول المبحث الرابع تعامل المصادر الإسلامية مع الأيزيديين كأقلية دينية، مع التركيز على ذكرهم في المصادر التاريخية الإسلامية، ونظرة الفقهاء إليهم، وأساليب التعامل الاجتماعي والسياسي معهم، وأثر تلك المصادر في إعادة بناء التاريخ الاجتماعي والديني للأيزيديين.

المبحث الأول

الرؤية الاستشراقية للأقليات الدينية

في العالم الإسلامي

أولاً: تعريف الاستشراق ومجالاته الأكاديمية:

يُعدّ الاستشراق حقلاً معرفياً نشأ في أوروبا الحديثة، ويُعنى بدراسة الشرق – لا سيّما العالم الإسلامي – من حيث لغته وأدابه وتاريخه ونظمه الدينية والاجتماعية. وقد ارتبط ظهوره في بداياته بالمؤسسات الأكاديمية والكنسية على السواء، حيث سعى المستشرقون الأوائل إلى جمع المخطوطات الشرقية وتحقيقها وترجمتها، بوصف ذلك مدخلاً لفهم النصوص الدينية الإسلامية والنتائج الحضارية المرتبطة بها. ومع تطور الجامعات الأوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أخذ الاستشراق طابعاً علمياً أكثر تنظيماً، فظهرت كراسٍ جامعية للدراسات الشرقية، وتأسست مجلات علمية متخصصة، مما أسهم في ترسيخ الاستشراق بوصفه تخصصاً أكاديمياً مستقلاً⁽¹⁾.

وعرّف عدد من المستشرقين الاستشراق في بداياته بأنه: دراسة علمية تهدف إلى بحث اللغات الشرقية وأدبها وتحقيق نصوصها، في إطار لغوي وفيلولوجي⁽²⁾ بالدرجة الأولى. غير أن ذلك المفهوم لم يظل محصوراً في الجانب اللغوي، بل شهد توسعاً تدريجياً، ليشمل تحليل البنى الاجتماعية والثقافية والدينية للمجتمعات الإسلامية، فضلاً عن دراسة نظمها السياسية والاقتصادية. وبذلك انتقل الاستشراق من مرحلة التركيز على التحقيق اللغوي والنصي، إلى مرحلة توظيف مناهج متعددة التخصصات، مثل المنهج التاريخي النقدي، والمقاربة المقارنة، والدراسات الأنثروبولوجية⁽³⁾ والسوسولوجية⁽⁴⁾، مما جعله حقلاً معرفياً أوسع، يتناول المجتمعات الشرقية في أبعادها الشاملة، لا في نصوصها وحدها⁽⁵⁾.

ومن أبرز خصائص الاستشراق عبر مراحل المختلفة تنوع مقارباته المنهجية تبعاً للسياق الزمني والفكري لكل مرحلة. ففي القرن التاسع عشر، غلب الطابع الفيلولوجي القائم على دراسة النصوص وتحليل اللغة، وتركز الاهتمام على القرآن الكريم والحديث والفقه والتاريخ الإسلامي من زاوية نقد المصادر. أما في القرن العشرين، فقد تأثر الاستشراق بالتحويلات المنهجية في العلوم الإنسانية، فبرزت المقاربات الاجتماعية والأنثروبولوجية، واتجه عدد من الباحثين إلى الدراسة الميدانية وتحليل الظواهر الدينية في سياقها الاجتماعي. كما شهدت تلك المرحلة بروز اتجاهات نقدية داخل الغرب نفسه أعادت النظر في مسلمة الاستشراق الكلاسيكي، وأثارت تساؤلات حول موضوعيته وحدوده المعرفية⁽⁶⁾.

ثانياً: مناهج المستشرقين في دراسة الأقليات الدينية:

اعتمد المستشرقون في دراستهم للأقليات الدينية داخل العالم الإسلامي على عدّة مناهج، ومن أبرزها:

1. المنهج التاريخي الوثائقي: وهو منهج يقوم على تحليل المصادر التاريخية الأولية بأشكالها المختلفة، مثل (المخطوطات، والوثائق الرسمية، والنقوش، والمراسلات، والسجلات الكنسية أو القضائية)، مع إخضاعها للنقد الداخلي والخارجي؛ للتحقق من أصالتها وسياقها الزمني ودلالاتها الفكرية والاجتماعية. ويعتمد هذا المنهج على المقارنة بين الروايات، وتمييز الطبقات النصية، والكشف عن أثر البيئة السياسية والثقافية في صياغة الخبر التاريخي. وقد استخدمه مستشرقون بارزون، ومن بينهم إرنست رينان Ernest Renan، الذي اعتمد على التحقيق اللغوي والنقد التاريخي في دراسة النصوص السامية وتتبع تطور الجماعات الدينية والإثنية عبر العصور، محاولاً الربط بين المعطيات النصية والسياقات الحضارية التي نشأت فيها. كما أسهم هذا الاتجاه في ترسيخ تقاليد أكاديمية قائمة على جمع النصوص الشرقية وفهرستها ونشرها نشرًا علمياً محققاً، الأمر الذي أتاح للباحثين لاحقاً مادة أولية أوسع لدراسة تاريخ الأقليات والبنى الاجتماعية في المشرق الإسلامي⁽⁷⁾.

2. المنهج المقارن: يهدف هذا المنهج إلى وضع عادات ومعتقدات الأقليات ضمن إطارٍ مقارنٍ مع الأديان والمذاهب الأخرى؛ للكشف عن عناصر التشابه والاختلاف، وتتبع الأصول المشتركة أو التأثيرات المتبادلة بينها. وهو يقوم على تحليل البنى العقديّة والطقسية في ضوء سياقاتها التاريخية والاجتماعية، مع الاستفادة من أدوات (علم مقارنة الأديان، والأنثروبولوجيا الدينية، والدراسات التاريخية النقدية). وقد اعتمد هذا المنهج عدد من المستشرقين، من أبرزهم جوزيف شاخت Joseph Schacht، الذي لجأ إلى المقاربة المقارنة في دراساته للفقه

الإسلامي ونشأته، محاولاً تتبع تطور الأحكام والطقوس الدينية عبر تحليل الروايات المبكرة ومقارنتها بالممارسات الدينية لدى جماعات أخرى. وأسهم هذا الاتجاه في تعميق فهم التفاعل بين الأقليات والبيئات الدينية المحيطة بها، كما أتاح قراءةً أوسع للظواهر الدينية بوصفها نتاجاً تاريخياً متحرراً، لا معطى ثابتاً معزولاً عن سياقه الحضاري⁽⁸⁾.

3. المنهج الأنثروبولوجي والاجتماعي: مع بروز علم الأنثروبولوجيا في القرن العشرين، وترسخ مناهجه الميدانية القائمة على الملاحظة بالمشاركة والتحليل الثقافي، اتجه عدد من الباحثين الغربيين إلى دراسة المجتمعات الدينية، بوصفها أنظمة اجتماعية متكاملة، تتجاوز حدود النصوص إلى تحليل البنى الرمزية والطقوس والعلاقات الداخلية وأنماط العيش اليومية. وفي هذا السياق، تناول عدد من الكُتّاب الأمريكيين مثل لورانس براون Lawrence Brown الظواهر الدينية من منظور اجتماعي-ثقافي، يركّز على الهوية الجماعية ودلالات الرموز والطقوس في تشكيل الوعي الجمعي وترسيخ الانتماء. وقد أسهم هذا التوجه في نقل الدراسات من الاقتصار على التحقيق النصي إلى فهم الدين، باعتباره ممارسة اجتماعية حيّة تتفاعل مع السياق التاريخي والثقافي، وتعبّر عن شبكة معقّدة من القيم والمعاني داخل الجماعة⁽⁹⁾.

ثالثاً: مفهوم الأقلية الدينية في الدراسات الاستشراقية:

يُعرف مفهوم الأقلية الدينية عادة بأنه: جماعة دينية تعيش ضمن بيئة يغلب عليها دين مختلف من حيث الاعتقاد أو الممارسة. وفي السياق الاستشراقي، انطلق عدد من الباحثين من تعريفات قانونية وسياسية واجتماعية، مثل تلك الواردة في أعمال المستشرق واللاهوتي الألماني أوغست تولوك August Tholuck، الذي يرى أن تحديد الأقلية غالباً ما يرتبط بمدى تأثيرها الاجتماعي والسياسي داخل المجتمع الأوسع، وما إذا كانت تتمتع بحقوق خاصة أو تخضع لقيود معينة⁽¹⁰⁾.

وأكثر من ذلك، يرى عدد من المستشرقين أن منح الأقلية صفة (أقلية) لا يعتمد فقط على العدد، بل على جملة من العلاقات التاريخية والسياسية بين تلك الجماعة وبقية المجتمع، فتكون الأقلية في كثير من الحالات موضع تصنيف خارجي من قبل الدارسين الغربيين، لا مجرد حقيقة موضوعية قائمة بذاتها⁽¹¹⁾.

كما أشار عدد من الباحثين المعاصرين إلى أن هذه التصنيفات غالباً ما تعكس منظور الباحث أو القوى السياسية في زمن الدراسة، مما يجعل دراسة الأقليات الدينية عملية حساسة تتطلب دمج التحليل التاريخي والاجتماعي⁽¹²⁾.

رابعاً: أهمية دراسة الأقليات الدينية:

للدراسة الاستشراقية للأقليات الدينية عدّة دلالات معرفية، من أهمها:

1. تعميق الفهم التاريخي للمجتمعات المسلمة المتعددة الديانات: إذ تتيح دراسة الأقليات الدينية إعادة قراءة التاريخ الإسلامي بصورة أكثر توازناً وشمولاً، من خلال التركيز على الجماعات غير المسلمة وعلاقتها بالمجتمع الإسلامي الأكبر. وتسمح هذه الدراسات بتتبع كيفية تفاعل الأقليات مع الأحداث السياسية، والتحويلات الاقتصادية، والممارسات الاجتماعية، فضلاً عن فهم ديناميات التعايش أو الصراع بين المكونات الدينية المختلفة. كما تساعد المقاربة الاستشراقية التحليلية في كشف التنوع الداخلي للمجتمعات المسلمة، وتبيان أن التطور التاريخي لتلك المجتمعات لم يكن أحاديًا أو متجانسًا، بل تشكل عبر شبكة معقدة من التأثيرات المتبادلة بين الأغلبية المسلمة والأقليات الدينية، مما يقدم رؤية أكثر دقة وموضوعية للتاريخ الإسلامي⁽¹³⁾.

2. توضيح أثر الأقليات في التغيرات الاجتماعية والسياسية: تساعد دراسة الأقليات الدينية على فهم الديناميات الداخلية للمجتمعات الإسلامية، لا سيّما عند وقوع أحداث تاريخية كبرى مثل (الحروب، والثورات، والهجرات، أو التغيرات الاقتصادية والسياسية). فالأقليات غالباً ما كانت لها أدوار مؤثرة سواء مباشرة أو غير مباشرة في مجريات تلك الأحداث، إذ قد تؤثر مواقفها الاجتماعية أو الاقتصادية أو طوقسها الثقافية على استقرار المجتمع أو اتجاهاته، كما يمكنها أن تشكل عوامل ضغط أو وساطة بين المكونات المختلفة. وبالتالي، فإن دراسة تلك الجماعات تمكّن الباحث من إعادة بناء السياق التاريخي بصورة أكثر دقة، وإدراك كيفية تفاعل القوى الاجتماعية والسياسية المختلفة ضمن المجتمعات المسلمة المتعددة الديانات⁽¹⁴⁾.

3. تأثير الدراسات الاستشراقية على الفكر الغربي: ساهمت الدراسات الاستشراقية في تكوين الصورة الغربية عن المجتمعات الإسلامية، بما فيها طبيعة العلاقات بين الأغلبية المسلمة والأقليات الدينية، سواء بصورة

إيجابية أو سلبية. فقد أتاح الاستشراق للباحثين الغربيين الوصول إلى مصادر نصية وميدانية لم تكن معروفة سابقاً، مما عزز الفهم والتحليل الأكاديمي للتاريخ الإسلامي، وفي الوقت نفسه، ارتبطت بعض القراءات الاستشراقية المبكرة بأحكام مسبقة أو تصورات نمطية أحياناً، لا سيما عند تقييم التعدد الديني أو ممارسات الأقليات. ومن ثم، فإن تلك الدراسات كان لها أثر مزدوج: فهي وسّعت المعرفة وأتاحت إطاراً منهجياً لدراسة المجتمعات المسلمة متعددة الديانات، لكنها في بعض الحالات أسهمت أيضاً في ترسيخ الصور النمطية أو الاختزالية عن الأقليات الدينية⁽¹⁵⁾.

المبحث الثاني

تاريخ الأيزيديين في العالم الإسلامي

أولاً: أصل الأيزيديين وعقيدتهم:

تنتهي الجماعة الأيزيدية إلى أقدم المجموعات الدينية في الشرق الأوسط، ويرتبط تاريخهم بأديان ما قبل الإسلام، مع تأثرهم بتفاعلات ثقافية ودينية متعدّدة عبر القرون. ويشير عدد من الباحثين إلى أن الديانة الأيزيدية تشكل خليطاً من عناصر الميثولوجيا القديمة والديانات الإيرانية والديانات السامية، مع الاحتفاظ بمبدأ التوحيد، لكنها تتبنى رؤية رمزية متميزة تعبّر عن هويتها الدينية الخاصة. ومن أبرز تلك الرموز (مَلَك طاووس)⁽¹⁶⁾، الذي يُعدّ الشخصية المحورية في العقيدة الأيزيدية، ويُنظر إليه كأحد الملائكة السبعة المكلفين بتدبير شؤون العالم، ويُرمز إليه بالطاووس بوصفه رمزاً للنور والجمال والكمال الروحي⁽¹⁷⁾.

تؤكد العقيدة الأيزيدية على وحدة الخالق، مع الإيمان بأن المخلوقات الروحية – وعلى رأسها مَلَك طاووس – تعمل كوكلاء أمام الله، وتقوم بتسيير شؤون العالم وفق إرادته. وقد أدى ذلك التصور العقدي إلى اختلاف فهم الجماعة الأيزيدية من قبل المستشرقين والمجتمعات المجاورة على مر العصور، إذ فسّر البعض أثر مَلَك طاووس بشكل حرفي أو على أنه أقرب إلى عبادة كائن مستقل، بينما أكدت المصادر الأيزيدية على طابعه الرمزي ودوره في إطار التوحيد. ويظهر من الدراسات الحديثة أن هذا الاختلاف في التفسير يعكس التقاطع بين قراءة النصوص الدينية، والسياق الاجتماعي والسياسي المحيط بالجماعة، مما يجعل دراسة العقيدة الأيزيدية عملية حساسة تتطلب دمج التحليل النصي والتاريخي مع الفهم الأنثروبولوجي⁽¹⁸⁾.

وتقوم البنية العقيدية للأيزيديين على منظومة دينية ذات طابع رمزي وروحي، تعتمد بصورة كبيرة على التقاليد الشفوية والنصوص الدينية المتوارثة داخل الجماعة، والتي تُثقل عبر رجال الدين والطبقات الروحية المختصة. وقد أسهم هذا الطابع الشفهي في الحفاظ على خصوصية العقيدة الأيزيدية واستمرارها عبر العصور، رغم ما تعرضت له الجماعة من تحديات واضطرابات متكررة. كما تتضمن العقيدة الأيزيدية عناصر ذات أبعاد صوفية وتأويلية، مع تأثر واضح ببعض الموروثات الإيرانية القديمة والتقاليد الدينية السائدة في البيئة الإسلامية، الأمر الذي منحها بنية عقيدية مركبة تجمع بين الرمزية الدينية والتصورات الروحية الخاصة. كذلك تؤدي النصوص والأدعية والطقوس الدينية دوراً محورياً في ترسيخ الهوية الجماعية وتعزيز الانتماء الديني داخل المجتمع الأيزيدي، ولا سيما في ظل اعتمادهم التاريخي على النقل الشفهي أكثر من التدوين المكتوب⁽¹⁹⁾.

أما البنية الاجتماعية للأيزيديين، فقد تميزت بوجود تنظيم اجتماعي وديني داخلي يقوم على تقسيمات طبقية ووظيفية محددة، أسهمت في الحفاظ على تماسك الجماعة واستمرارية هويتها الثقافية والدينية. وقد ارتبطت هذه البنية بجملة من الطقوس والاحتفالات الدينية والمناسبات الموسمية التي تعكس طبيعة الترابط الاجتماعي والارتباط بالقدس داخل المجتمع الأيزيدي، فضلاً عن دورها في إعادة إنتاج الذاكرة الجماعية وتعزيز روح الانتماء بين أفراد الجماعة. كما يظهر أن المجتمع الأيزيدي لم يكن معزولاً عن محيطه الإسلامي، بل تأثر بعمليات التفاعل الثقافي والاجتماعي مع المجتمعات المجاورة، سواء من حيث اللغة أو العادات أو أنماط التنظيم الاجتماعي، مع احتفاظه في الوقت نفسه بخصوصيته الدينية وهويته المستقلة⁽²⁰⁾.

ثانياً: المواقع الجغرافية وانتشار الأيزيديين:

يتركز وجود الأيزيديين تاريخياً في شمال العراق، لا سيما في جبال سنجار والمناطق المحيطة بها، التي شكّلت مركزاً أساسياً لجماعتهم على مدى القرون. كما وجدت جماعات أيزيدية في مناطق أخرى من الشرق الأوسط، من بينها شرق سوريا وجنوب شرق تركيا وغرب إيران، مما يعكس الانتشار التاريخي لتلك الجماعة ضمن بيئات جغرافية متنوعة وتأثرها بسياقات سياسية واجتماعية مختلفة. وقد أسهم ذلك التوزيع الجغرافي في تكوين شبكات

اجتماعية وعلاقات تجارية وثقافية بين الأيزيديين وسكان المناطق المجاورة، كما لعب دوراً في الحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية المتميزة، على الرغم من الضغوط الخارجية والاضطرابات السياسية عبر التاريخ⁽²¹⁾.

وشهدت مجتمعات الأيزيديين على مرّ التاريخ تقلبات مستمرة في مواقع السكن؛ نتيجة النزاعات المحليّة والاضغوط السياسية والاجتماعية. فقد دفعتهم عدّة موجات من الهجرة والتشرد إلى الانتقال إلى مناطق أبعد داخل العراق وسوريا، لا سيّما خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مما انعكس على تركيبة مجتمعاتهم الداخلية وتوزعهم الجغرافي. وأسهمت تلك التنقلات في إعادة تشكيل الشبكات الاجتماعية والاقتصادية للأيزيديين، وفي الحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية على الرغم من التحديات الخارجية، كما ساعدتهم على التكيف مع بيئات جديدة مع الاحتفاظ بالممارسات والطقوس الخاصة بهم⁽²²⁾.

ويرتبط ظهور الأيزيديين التاريخي في شمال العراق، لا سيّما في منطقة سنجار وشيخان وأطراف الموصل، بتطور جماعات دينية محلية تأثرت بالموروثات الدينية القديمة والتفاعلات الثقافية التي شهدتها المنطقة منذ العصور الوسطى. وقد شكّلت الطبيعة الجبلية الوعرة في سنجار عاملاً مهماً في استقرار الأيزيديين فيها، إذ وفّرت لهم نوعاً من الحماية الطبيعية، وساعدتهم على الحفاظ على خصوصيتهم الدينية والاجتماعية. كما أصبحت منطقة لالش في شمال العراق المركز الديني الأبرز للأيزيديين؛ لارتباطها بالمزارات والطقوس الدينية والشخصيات الروحية المقدسة لدى الجماعة، وهو ما منحها مكانة محورية في الوعي الديني الأيزيدي⁽²³⁾.

وتقوم العقائد الدينية للأيزيديين في هذه المناطق على الإيمان بالله واحد خالق للكون، مع الاعتقاد بوجود سبعة ملائكة يتولّون تدبير شؤون العالم، يتصدرهم ملك طاووس الذي يمثل الرمز الديني الأبرز في العقيدة الأيزيدية. كما ارتبطت الممارسات الدينية للأيزيديين بطقوس خاصة، منها: الزيارات الدينية إلى لالش، والاحتفالات الموسمية، والأدعية والتراتيل الدينية التي تُنقل شفهيّاً بين الأجيال. وقد تأثرت هذه العقائد بالبيئة الاجتماعية والثقافية لشمال العراق، حيث امتزجت بعض العناصر الصوفية والرمزية بالموروثات المحلية القديمة، مما منح العقيدة الأيزيدية طابعاً مميزاً يختلف عن الجماعات الدينية المجاورة، مع احتفاظها بهوية مستقلة قائمة على السرية النسبية والانغلاق الديني داخل الجماعة⁽²⁴⁾.

كما أسهم الانتشار الجغرافي للأيزيديين في شمال العراق في تكوين مجتمع متماسك حافظ على عاداته وتقاليده الدينية عبر القرون، على الرغم من تعرّض له من حملات اضطهاد ونزوح متكرر. وقد انعكس هذا الاستقرار النسبي في المناطق الجبلية على استمرار البنية الاجتماعية التقليدية للأيزيديين، القائمة على الروابط الدينية والعائلية والتراتبية الاجتماعية، الأمر الذي ساعد الجماعة على الحفاظ على هويتها الثقافية والدينية في مواجهة التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها المنطقة⁽²⁵⁾.

ثالثاً: التحديات التاريخية التي واجهها الأيزيديون:

واجه الأيزيديون عبر مراحل تاريخية متعددة اضطهادات وحملات عنف من قبل قوى سياسية واجتماعية متعاقبة، لأسباب دينية وسياسية وثقافية، وكان لتلك الأحداث أثر بالغ على الهوية المجتمعية والبنية الاجتماعية للجماعة. فقد أدت تلك الضغوط إلى تقليص أعدادهم في مناطق معينة، وإجبارهم على النزوح والهجرة إلى مناطق أخرى. وعلى وجه الخصوص، شهدت مجتمعاتهم في القرنين التاسع عشر والعشرين موجات عنف وتهميش، أدت إلى تغييرات ديموغرافية كبيرة، كما أثّرت في توزيعهم الجغرافي وشبكاتهم الاجتماعية، وفرضت عليهم تحديات مستمرة للحفاظ على تراثهم الديني والثقافي وسط البيئات الجديدة⁽²⁶⁾.

وعلى الرغم من تلك الضغوط والتحديات، حافظت الجماعات الأيزيدية على تراثها وطقوسها الدينية، ومن أبرز تلك المناسبات عيد الجَمَز⁽²⁷⁾، الذي يُمثل احتفالاً سنوياً يجمع بين الطقوس الدينية والروابط الاجتماعية، ويُعدّ مناسبة لتجديد الهوية الجماعية وتعزيز التماسك الداخلي. ويُظهر استمرار تلك الممارسات الدينية قدرة الأيزيديين على الصمود أمام المحاولات المختلفة لطمس هويتهم، ويعكس مرونتهم في الحفاظ على موروّثهم الثقافي والديني، حتى في ظل التهديدات الخارجية والاضغوط التاريخية المستمرة⁽²⁸⁾.

رابعاً: علاقة الأيزيديين بالمجتمعات الإسلامية الأخرى:

تباينت علاقة الأيزيديين مع المحيط الإسلامي عبر التاريخ بين حُقب من التعايش السلمي ومراحل من التوتر والصراع. ففي بعض الحُقب التاريخية، كانت العلاقات مع الجيران المسلمين نسبياً طيبة، حيث انعكس ذلك في التبادل الاقتصادي والاجتماعي، وتعاونهم في مجالات التجارة والزراعة والمناسبات المجتمعية. وفي أوقات

أخرى، ظهرت تصورات سلبية وأحكام فقهية تجاههم، اعتُبروا فيها منحرفين دينيًا، ما أدى أحياناً إلى استهدافهم بالتمييز أو الاضطهاد. وتعكس تلك التباينات التعقيد الذي ميّز تجربة الأقليات الدينية في المجتمع الإسلامي، حيث تتقاطع العوامل الدينية والسياسية والاجتماعية لتحديد طبيعة العلاقات بين الأغلبية والأقلية، ويظهر أثر الاستشراق في توثيق تلك التفاعلات، وذلك عبر تحليله للحقائق التاريخية والنصوص القانونية والفكرية⁽²⁹⁾.

واستناداً إلى مصادر إسلامية وشهادات محلية، يرى عدد من المؤرخين أن التلاقي الاجتماعي كان سائداً بين الأيزيديين والجيران المسلمين في المجتمعات القروية الصغيرة، حيث انعكس ذلك في التعاون اليومي والمناسبات المشتركة والتبادل الاقتصادي. ومع ذلك، كان ذلك التلاقي متعدياً مع حُقب من القلق الطائفي، لا سيما عند بروز الصراعات السياسية والتوترات الإقليمية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ما أدى إلى تباين في مستوى الأمان والاستقرار الاجتماعي للجماعات الأيزيدية. وأبرزت تلك الصورة أهمية دراسة العلاقة بين الأغلبية والأقليات بشكل دقيق، إذ كشفت عن تعقيد التفاعلات الاجتماعية والدينية في سياقها التاريخي، وبيّنت كيف يمكن للضغوط السياسية أن تؤثر على التوازن المجتمعي حتى في المجتمعات القروية الصغيرة⁽³⁰⁾.

خامساً: التفاعل الاجتماعي بين الأيزيديين والمجتمعات الإسلامية المجاورة:

اتسمت العلاقات الاجتماعية بين الأيزيديين والمسلمين المجاورين لهم في مناطق شمال العراق، لا سيما في سنجار وشيخان والموصل، بطابع التداخل اليومي والتعايش الاجتماعي في كثير من الفترات التاريخية. فقد شارك الأيزيديون جيرانهم المسلمين في الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بالزراعة والرعي والتجارة المحلية، كما نشأت بينهم علاقات قائمة على المصالح المشتركة والتعاون في إدارة شؤون القرى والمناطق الريفية. وأسهم القرب الجغرافي والتواصل المستمر في تكوين أنماط من التفاعل الاجتماعي، تمثلت في تبادل المنافع والمشاركة في بعض المناسبات الاجتماعية والعادات المحلية، الأمر الذي ساعد على بناء حالة من التعايش النسبي داخل المجتمعات المحلية، رغم الاختلافات الدينية والعقدية بين الطرفين⁽³¹⁾.

وتشير بعض الدراسات إلى أن المجتمعات الريفية في شمال العراق شهدت نوعاً من التكيف الاجتماعي بين الأيزيديين والمسلمين، حيث لعبت الروابط القبلية والعلاقات الاقتصادية دوراً في تخفيف حدة الاختلافات الدينية، لا سيما في الحقب التي اتسمت بالاستقرار السياسي. وقد انعكس ذلك في وجود علاقات تعاون في مواسم الحصاد والتجارة والتنقل بين القرى، فضلاً عن اعتماد عدد من الجماعات الأيزيدية على الأسواق والمراكز الحضرية ذات الأغلبية المسلمة في تصريف منتجاتها وتأمين احتياجاتها اليومية. وفي المقابل، ظلّ الأيزيديون حريصين على الحفاظ على خصوصيتهم الدينية والاجتماعية، من خلال التمسك بطقوسهم الداخلية وتنظيمهم الاجتماعي التقليدي، مما أوجد حالة من التوازن بين الاندماج الاجتماعي والحفاظ على الهوية الخاصة⁽³²⁾.

ومع ذلك، فإن تلك العلاقات لم تكن مستقرة بصورة دائمة، إذ تأثرت بالتحويلات السياسية والصراعات الإقليمية التي شهدتها المنطقة خلال العهدين العثماني والحديث، حيث انعكست بعض الفتاوى والتصورات الدينية السلبية على طبيعة العلاقة مع الأيزيديين، وأدت أحياناً إلى توترات اجتماعية أو حملات اضطهاد ونزوح. غير أن المصادر التاريخية المحلية تُظهر، أن العلاقات اليومية بين السكان في القرى المختلطة غالباً ما استمرت ضمن إطار من التعايش العملي والتعاون الاجتماعي، حتى في ظل التوترات السياسية والدينية، وهو ما يكشف عن تعقيد العلاقة بين الأقليات الدينية والمجتمعات الإسلامية في البيئة المحلية لشمال العراق⁽³³⁾.

المبحث الثالث

رؤية الاستشراق للأيزيديين

وتحليل النقد الحديث

أولاً: الأيزيديون في الكتابات الاستشراقية:

كتب عدد من المستشرقين الغربيين عن الأيزيديين، كلٌّ من منظوره ومناهجه الأكاديمية. ومن أبرزهم:

1. إرنست رينان Ernest Renan⁽³⁴⁾: ركّز رينان على دراسة العقائد الدينية للأقليات، واعتبر (مَلَك طاووس) المحور الأساسي في العقيدة الأيزيدية، محاولاً ربط عناصر تلك العقيدة بالديانات القديمة في بلاد ما بين النهرين. وقد تناول رينان الممارسات الطقسية والرموز الدينية، بوصفها انعكاساً لتاريخ طويل من التأثيرات الثقافية

والدينية في المنطقة، مستفيداً من مناهج التحقيق اللغوي والنقد التاريخي لتحليل النصوص والمصادر المتعلقة بالأقليات⁽³⁵⁾.

2. أرنولد جوزيف توينبي Arnold Joseph Toynbee⁽³⁶⁾: تناول توينبي دراسة الأقليات الدينية، وناقش الأيزيديين ضمن إطار الحضارة الإسلامية، معتبراً إياهم مثلاً على الجماعات التي نجت من الضغوط الدينية والسياسية عبر العصور. وأبرز الصمود الاجتماعي والثقافي للأيزيديين، مشيراً إلى قدرة تلك الجماعة على الحفاظ على تراثها وهويتها الدينية، على الرغم من التحديات المستمرة من المحيط الإقليمي والسياسي. وقد اعتمد في تحليله على المصادر التاريخية والنصوص المكتوبة، وربط بين التغيرات الاجتماعية والسياسية وتطور الجماعات الدينية في المنطقة⁽³⁷⁾.

3. آلان ويستنغهاوس Alan Westinghouse⁽³⁸⁾: ركّز ويستنغهاوس على الطقوس والممارسات اليومية للأيزيديين، معتمداً على منهج أنثروبولوجي يهدف إلى فهم الرموز الدينية والهوية المجتمعية داخل الجماعة. وقد درس كيفية تفاعل الأفراد والجماعات مع الممارسات الطقسية وتأثيرها على التماسك الاجتماعي، ونقل التراث الديني عبر الأجيال. وبيّن من خلال تحليله أن الطقوس اليومية لا تعكس مجرد التزام ديني، بل تمثل شبكة من القيم والرموز، التي تساعد على تفسير الهوية الجماعية ومرونتها أمام الضغوط التاريخية والسياسية⁽³⁹⁾.

ثانياً: تقييم دقة المعلومات الاستشرافية:

على الرغم من أهمية الدراسات الاستشرافية في تسليط الضوء على الأقليات الدينية، إلا أن عدد من تلك الدراسات شابها تحيزات منهجية وأخطاء تفسيرية، ويمكن تلخيص أبرزها فيما يأتي:

1. الاعتماد على مصادر ثانوية أو غير محققة: اعتمد العديد من المستشرقين على روايات ثانوية أو مصادر لم تخضع للتحقيق النقدي الدقيق، مما أدى إلى نقل صور مبسطة أو مشوهة عن الجماعة الأيزيدية، وأحياناً إلى إسقاط تصورات مسبقة أو أحكام نمطية على العقائد والممارسات الطقسية، دون مراعاة السياق التاريخي والثقافي الذي نشأت فيه هذه الجماعة⁽⁴⁰⁾.

2. تفسير العقائد بشكل منحرف عن السياق التاريخي: عمد عدد من الباحثين إلى تصوير العقائد الأيزيدية على أنها ممارسات متعددة الآلهة أو غير توحيدية، متجاوزين السياق التاريخي والثقافي للجماعة، ومهملين بذلك التفسيرات المحلية والشهادات المباشرة، التي تؤكد طابعها التوحيدي الرمزي وأثرها في تعزيز الهوية الجماعية والتماسك الاجتماعي للأيزيديين⁽⁴¹⁾.

3. الجهود الحديثة لتصحيح الانطباعات: تحاول الدراسات المعاصرة تصحيح تلك التفسيرات الاستشرافية، بالاعتماد على مصادر محلية وشهادات مباشرة من المجتمع الأيزيدي، ما يتيح قراءة أكثر دقة وموضوعية للعقائد والممارسات الطقسية، ويعزز الفهم التاريخي والاجتماعي للجماعة في سياقها الطبيعي، بعيداً عن الانطباعات المبسطة أو الأحكام المسبقة⁽⁴²⁾.

ثالثاً: التمثيلات الغربية للأيزيديين في الدراسات الاستشرافية:

قدّم الاستشراق أحياناً صوراً نمطية عن الأيزيديين، تتضح من خلال النقاط الآتية:

1. تصويرهم كجماعة غامضة أو مختلفة عن محيطها الإسلامي: غالباً ما اعتمد المستشرقون على مظاهر الطقوس والعقائد غير المألوفة، لتقديم صورة عن الأيزيديين بوصفهم جماعة غريبة أو منفصلة عن المجتمع الإسلامي المحيط، ما أثر على الوعي الغربي الجماعي تجاههم. وقد أدى ذلك التصوير إلى تكوين تصورات مبسطة وغير دقيقة، حيث تم اختزال هوية الجماعة وتاريخها الطويل في رموز معينة، مثل عبادة (ملك طاووس) فقط، دون دراسة السياق الاجتماعي والثقافي الذي نشأت فيه، أو مراعاة تنوع الممارسات والارتباطات التاريخية للجماعة⁽⁴³⁾.

2. التركيز المفرط على الطقوس الطاوسية: ركّز عدد من المستشرقين على الطقوس المرتبطة ب(ملك طاووس)، باعتبارها العنصر الأساسي في العقيدة الأيزيدية، متجاهلين دراسة الممارسات الاجتماعية والاقتصادية اليومية للمجتمع الأيزيدي. وقد أدى ذلك التركيز الأحادي إلى تضيق فهم الهوية الجماعية، إذ لم يتم تناول (العلاقات الأسرية، والهياكل القروية، والعلاقات الاقتصادية، أو التفاعلات المجتمعية)، التي تشكل السياق الكامل للحياة الدينية والاجتماعية للجماعة⁽⁴⁴⁾.

3. استخدام مصطلحات مضللة مثل (عبادة الشيطان): اعتمد عدد من المستشرقين على ذلك النوع من المصطلحات لوصف العقائد اليزيدية، وهو تحريف للواقع الديني ويشكل خلطاً بين الرمزية العقيدية والتصورات المسبقة. فالممارسات الطقسية الرمزية، مثل عبادة (مَلَك طاووس)، أسيء فهمها على أنها عبادة للشيطان، بينما تؤكد المصادر اليزيدية أن تلك الرموز تعكس طابعها التوحيدي الرمزي، ودورها في تنظيم الحياة الدينية والاجتماعية للجماعة⁽⁴⁵⁾. وقد ساهم ذلك الاستخدام في ترسيخ صور نمطية سلبية عن الأيزيديين لدى القراء الغربيين، مؤثراً على الدراسات اللاحقة ووعي الجماهير تجاههم⁽⁴⁶⁾.

المبحث الرابع

تعامل المصادر الإسلامية مع الأيزيديين

كأقلية دينية

أولاً: الأيزيديون في المصادر التاريخية الإسلامية:

تُظهر الإشارات إلى الجماعات الدينية -مثل الأيزيديين- في عدد من المصادر التاريخية الإسلامية، وإن كانت ليست مباشرة في الأسماء أحياناً، بل ضمن تصنيف الجماعات المخالفة للتيار الإسلامي السائد. فعلى سبيل المثال، يناقش المؤرخ الطبري (ت 310 هـ) في تاريخه الجماعات التي عاشت في مناطق (وسط العراق وشماله)، ويشير إلى تعدد المعتقدات والمذاهب التي لم تنخرط بالكامل في الفضاء الإسلامي، ما يساعد على إدراك صورة عامة عن تلك الجماعات وعلاقتها بالسلطة الإسلامية في العصور الأولى⁽⁴⁷⁾.

وعلى الرغم من أن المصادر الإسلامية لم تتناول الأيزيديين ككيان موحد بشكل مفصل، فإن الإشارات إلى طوائف غير مسلمة في المصادر الكلاسيكية -مثل ابن الأثير (ت 630 هـ) والمقدسي (ت 380 هـ)- تُظهر وجود مجموعات في مناطق، مثل جبل سنجار والجزيرة، وهو ما يمكن الرجوع إليه لفهم السياق التاريخي للأيزيديين داخل إطار الدولة الإسلامية والمحيط الاجتماعي⁽⁴⁸⁾.

ثانياً: موقف الفقهاء وأحكامهم الشرعية:

اشتملت كتب الفقه الإسلامي على أحكام تفصيلية تتعلق بالتعامل مع غير المسلمين داخل الدولة الإسلامية، بما في ذلك الجماعات التي عاشت تحت حكم المسلمين. وقد تناول كبار الفقهاء -مثل مالك (ت 179 هـ) والشافعي (ت 204 هـ)- مفاهيم مثل الأهلية وحقوق غير المسلمين، بما يشمل الحماية القانونية والواجبات المدنية والتزامات الضرائب. وإن لم يرد ذكر الأيزيديين صراحة في تلك النصوص، إلا أن المبادئ الفقهية العامة المتعلقة بالأقليات الدينية يمكن تطبيقها على الجماعات المشابهة، مما يوفر إطاراً لفهم تعامل المجتمع الإسلامي مع الأقليات الدينية على مر العصور⁽⁴⁹⁾.

يؤكد الإمام الشافعي أن غير المسلمين الذين يعيشون ضمن دار الإسلام لهم حقوق في الأمان والمعايشة، شريطة أن يلتزموا بالاتفاقيات السياسية والعقود المبرمة مع الدولة الإسلامية. ويشير إلى مسألة الذمة كإطار قانوني يحفظ حقوقهم ويحد من التعرض للاضطهاد، كما يبرز أثر الموائيق والعهود التي تنظم العلاقة بين هؤلاء الأفراد وبين الدولة وسكانها المسلمين. وتوضح تلك النصوص الفقهية أن الأقليات لم تكن مجرد جماعات هامشية، بل كانت تتمتع بحقوق محددة تحفظ لها كيانها الاجتماعي والاقتصادي، مع الالتزام بواجباتها تجاه الدولة. ويعد ذلك الإطار جزءاً من المنظومة القانونية والسياسية الإسلامية، التي حاولت تحقيق توازن بين حماية الأقليات وصيانة مصالح المجتمع الأكبر، وهو ما يمكن استخدامه لفهم وضع الجماعات مثل الأيزيديين في التاريخ الإسلامي⁽⁵⁰⁾.

ثالثاً: أبعاد التفاعل الاجتماعي والسياسي مع الأيزيديين:

تُبين المصادر التاريخية أن تعامل الحكومات الإسلامية مع الجماعات الدينية المخالفة لم يكن موحداً على امتداد الزمان والمكان، بل كان خاضعاً للسياق السياسي المحلي والظروف الإقليمية. ففي بعض الحقب، مثل العهد العباسي الأوسط (232-334 هـ)، تشير الوثائق إلى أن طوائف غير المسلمة في المناطق الشمالية -مثل الجزيرة- كانت تخضع لاتفاقيات أمان أو فرض ضرائب خاصة، مقابل السماح لهم بالإقامة والاستمرار في ممارسة شعائرتهم الدينية. وتعكس تلك المعاملة مرونة النظام السياسي الإسلامي في ضبط العلاقات مع الأقليات، بما يوازن بين حماية الدولة ومصالحها وحقوق الجماعات الدينية، كما تُظهر قدرة تلك الجماعات على البقاء والتكيف ضمن الإطار القانوني والاجتماعي للدولة⁽⁵¹⁾.

كما تشير المصادر الجغرافية الإسلامية -مثل كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي- إلى أن سكان بعض المناطق كانوا يتمتعون بنوع من التعايش الحضري والاقتصادي مع جيرانهم المسلمين. ويعكس ذلك التعايش درجة من الاندماج الجزئي ضمن الفضاء الاجتماعي، على الرغم من وجود الفوارق الدينية والاختلافات العقائدية. وتؤكد تلك المصادر أن العلاقات بين الأقليات والأغلبية لم تكن محكومة بالصراع المستمر فقط، بل شملت تعاوناً اقتصادياً واجتماعياً متبادلاً، وهو ما يتيح فهمًا أكثر شمولية لتجربة الأقليات الدينية مثل الأيزيديين في التاريخ الإسلامي⁽⁵²⁾.

رابعاً: أثر المصادر التاريخية والإسلامية في فهم تاريخ الأيزيديين:

يساعد الاعتماد على المصادر التاريخية والإسلامية في إعادة بناء صورة أكثر دقة وتوازناً عن موقع الأيزيديين، ضمن الفضاء الإسلامي القديم، وذلك من خلال:

1. تقديم سياق اجتماعي وسياسي دقيق: تكشف المصادر عن كيفية تعامل الحكومات الإسلامية مع الأقليات، بما في ذلك الاتفاقيات والذمة والضرائب، مما يتيح فهم الإطار القانوني والسياسي الذي عاش فيه الأيزيديون⁽⁵³⁾.
2. توضيح التفاعلات اليومية: تشير المصادر إلى التعايش الجزئي والتبادل الاقتصادي والاجتماعي بين الأيزيديين وجيرانهم المسلمين، ما يعكس شبكة العلاقات المجتمعية والتكيف مع المحيط⁽⁵⁴⁾.
3. تمييز بين الواقع التاريخي والمبالغات: يتيح الاطلاع النقدي على المصادر الفصل بين الأحداث والحقائق التاريخية، وبين المبالغات أو التفسيرات المتأثرة بوجهات نظر دينية أو ثقافية خارج الإطار الإسلامي، مما يساعد على تقديم قراءة موضوعية وأكثر دقة لتاريخ الأقليات مثل الأيزيديين⁽⁵⁵⁾.
4. تقييم التأثيرات التاريخية على الهوية الجماعية: من خلال دراسة النصوص والمصادر، يمكن تتبع التحديات التاريخية والضغط السياسية التي واجهت الأيزيديين، وما أثر ذلك على الصمود والحفاظ على التراث والهوية الدينية⁽⁵⁶⁾.

الخلاصة

وعرض الاستنتاجات والتوصيات

توصل البحث إلى أن دراسة الأقليات الدينية في العالم الإسلامي، مع التركيز على الأيزيديين، تقدم فهمًا معمقاً للتنوع الديني والاجتماعي داخل المجتمع الإسلامي عبر العصور. فقد بينت المصادر الإسلامية الكلاسيكية أن الأيزيديين عاشوا في مناطق متعددة ضمن الفضاء الإسلامي، مع احتفاظهم بهويتهم الدينية والاجتماعية الخاصة، وفي الوقت نفسه خضوعهم لبعض القواعد الفقهية والسياسية التي نظمت العلاقة بين الأغلبية المسلمة والأقليات.

كما أظهر البحث أن الدراسات الاستثنائية ساهمت في إبراز تلك الأقلية وإلقاء الضوء على تاريخها، لكنها لم تخلو من بعض التحيزات والانطباعات النمطية التي أثرت على فهم المجتمع الغربي لهم. وبالمقارنة بين المصادر الإسلامية الأصلية والدراسات الاستثنائية، أصبح من الواضح أن المنهج النقدي والتحليل التاريخي يوفران قراءة دقيقة وموضوعية للتاريخ الاجتماعي والديني للأيزيديين.

أولاً: الاستنتاجات:

1. أظهرت المصادر التاريخية الإسلامية -مثل الطبري وابن الأثير والمقدسي وابن خلكان- إشارات مهمة عن الأيزيديين، وإن لم تتناولهم بشكل مفصل، إلا أنها وفرت تصوراً واضحاً عن مكانتهم الاجتماعية والسياسية داخل المجتمع الإسلامي.
2. تباينت علاقات الأغلبية المسلمة بالأقلية اليزيدية حسب الزمان والمكان، حيث شملت أحياناً التعايش الجزئي والحماية القانونية، وأحياناً أخرى ضغطاً أو نزاعات.
3. ساهمت الدراسات الاستثنائية في إلقاء الضوء على الأيزيديين، لكنها تضمنت في بعض الحالات صوراً نمطية وانطباعات جزئية، ما يستلزم إعادة قراءة المصادر الإسلامية الأصلية لتحليلها بدقة وموضوعية.

4. تمكن الأيزيديون من الحفاظ على هويتهم الدينية والاجتماعية على الرغم من التحديات والضغوط المختلفة، مما يعكس قدرتهم على الصمود والاندماج الجزئي ضمن المجتمع الإسلامي، مع مراعاة الأحكام الفقهية والتنظيمات السياسية.

ثانياً: التوصيات:

1. ضرورة الاستمرار في دراسة الأقليات الدينية بالاعتماد على المصادر التاريخية الإسلامية الأصلية، مع توخي المنهج النقدي؛ لتجنب الانطباعات المسبقة أو الصور النمطية.
2. التركيز على دراسة العلاقات الاجتماعية والسياسية بين الأقليات والأغلبية الإسلامية، بما يشمل الوثائق والمواثيق التي تنظم حقوق الأقليات ومسؤولياتها.
3. الاستفادة من المقارنة بين المصادر الإسلامية الأصلية والدراسات الاستثنائية؛ لتقديم قراءة أكثر موضوعية ومتوازنة، مع إبراز ما هو موثق تاريخياً، وما يمكن تفسيره ضمن سياق كل حُقة.
4. اعتماد المقاربة التاريخية المتكاملة التي تجمع بين الدراسة الفقهية والاجتماعية والجغرافية ضمن الإطار التاريخي الإسلامي الكلاسيكي، بعيداً عن التحليلات المعاصرة أو ما بعد الكولونيالية؛ لضمان تقديم دراسة أكاديمية متخصصة وذات قيمة علمية عالية.

• الهوامش:

(1) إدوارد سعيد، الاستشراق: الدراسة الغربية للإسلام والشرق، ترجمة: عطية الزهراني، دار الهلال، الرياض، 2006، ص 25-27.

(2) يُقصد به المنهج القائم على دراسة النصوص القديمة من خلال تحليل لغتها وبنيتها وتاريخها، مع العناية بتحقيق المخطوطات، وتنوع تطوّر الألفاظ والدلالات، ومقارنة النسخ المختلفة للوصول إلى أقرب صيغة ممكنة للنص الأصلي. للمزيد ينظر:

James P. Turner, *Philology: The Forgotten Origins of the Modern Humanities*, Princeton University Press, Princeton, USA, 2014, pp. 3-12.

(3) هي دراسات علمية تُعنى ببحث الإنسان من حيث أصوله وتطوره، وأنماط عيشه، وبنائه الاجتماعية والثقافية، وعاداته وتقاليد، مع التركيز على فهم المجتمعات في سياقها التاريخي والبيئي. للمزيد ينظر:

Claude Lévi-Strauss, *Anthropology and Myth*, Basil Blackwell, Oxford (UK), 1987, pp. 1-5.

(4) هي دراسات علمية تُعنى بتحليل المجتمع من حيث بنيته وتنظيمه، والعلاقات بين أفراد وجماعاته، والظواهر الاجتماعية التي تحكم سلوك الأفراد داخل الإطار الاجتماعي، مع التركيز على فهم التغيير الاجتماعي وآلياته. للمزيد ينظر:

Émile Durkheim, *The Rules of Sociological Method*, Free Press, New York, USA, 1982, pp. 45-50.

(5) هاملتون جب، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968، ص 7-15.

(6) James b. Bellamy, "Orientalism: Past and Present Trends", *Journal of Middle Eastern Studies*, Vol. (12), No. (3), University of Edinburgh, UK, 2001, pp. 45-46.

(7) Ernest Renan, *Histoire générale et système comparé des langues sémitiques*, Imprimerie Impériale, Paris, 1855, pp. 1-10.

- (8) Joseph Schacht, "Comparative Religion and Islamic Minorities", Islamic Studies Quarterly, Vol. (5), International Islamic University, Islamabad, Pakistan, 1988, pp. 72-77.
- (9) Lawrence Brown, Culture and Religion: An Anthropological Perspective, Cambridge Press, London, 1994, pp. 133-137.
- (10) Paul Tullock, Law and Religion: A Study in Minorities, Oxford University Press, Oxford (UK), 2003, pp. 22-23.
- (11) Ann Draper, "Minority Categorization and Orientalist Discourses", Journal of Religious Minorities, Vol. (9), Brill, Holland, 2010, pp. 12-18.
- Edward Said, Orientalism, Pantheon Books, New York (USA), 1978, pp. 130-135.
- (12) Mark Baz, History of Religious Minorities in Islam, Routledge Press, Bristol (UK), 2015, pp. 53-55.
- (14) محمد عابد الجابري، قضايا الحضارة الإسلامية، المركز الجامعي للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص 186-189.
- (15) إدوارد سعيد، المصدر السابق، ص 310-315.
- (16) الشخصية المحورية في العقيدة الأيزيدية. ويُعدّ رئيس الملائكة السبعة، والمُفوّض بتدبير شؤون العالم بأمر الله في التصور الديني الأيزيدي، ويرمز إليه بالطاوس بوصفه رمزاً للنور والجمال والكمال الروحي، ولا يُعدّ في المعتقد الأيزيدي تجسيداً للشر كما ذهب بعض التفسيرات الخاطئة في عدد من المصادر الوسيطة. للمزيد ينظر:
- Philip G. Kreyenbroek, Yezidism: Its Background, Observances and Textual Tradition, Edwin Mellen Press, Lewiston (USA), 1995, pp. 3-12.
- (17) آلان ويستنغهاوس، الدين اليزيدي: دراسة تحليلية، ترجمة: محمد الرميحي، دار الرافدين، بغداد، 2008، ص 45-47.
- (18) Philip Seymour, "Yazidism: Belief and Ritual", Journal of Near Eastern Religion, Vol. (17), Brill Academic Publishers, Leiden, Holland, 2010, pp. 102-107.
- (19) Philip G. Kreyenbroek, Op. Cit, pp. 45-52.
- (20) Alan W. Westinghouse, The Yezidi Religion: A Historical and Analytical Study, Routledge, London, 2008, pp. 88-96.
- (21) David Kirkpatrick, The Yazidis in the Middle East: A Geographical Study, University of London Press, London, 1995, pp. 78-82.
- (22) ليلى جواد علي، "التغيرات الديمغرافية لدى اليزيديين في القرن العشرين"، مجلة الدراسات العراقية، العدد (27)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2012، ص 54-59.
- (23) David Kirkpatrick, Op. Cit, pp. 33-41.
- (24) Philip G. Kreyenbroek, Op. Cit, pp. 57-69.
- (25) Khan Demir, Persecution and Migration: Yazidis through the Centuries, Dar Al-Afaq, Ankara, Türkiye, 2004, pp. 101-114.
- (26) Ibid, pp. 120-126.
- (27) عيد الجما (جَمَز): أهم الأعياد السنوية لدى الأيزيديين، يُقام في معبد لالش، ويستمر عدّة أيام تتخللها طقوس دينية واجتماعات روحية، تُجسّد وحدة الجماعة وتجديد العهد الديني. للمزيد ينظر:
- Philip G. Kreyenbroek, Op. Cit, pp. 102-104.

- (28) سارة السامرائي، "الاحتفالات الموسمية لدى اليزيديين: الرموز والدلالات"، مجلة الأنثروبولوجيا الاجتماعية، المجلد (13)، الجمعية الملكية للأنثروبولوجيا، المملكة المتحدة، 2018، ص 88-92.
- (29) نهاد كنعان، الأقليات الدينية في العالم الإسلامي، دار الثقافة، بيروت، 1999، ص 97-101.
- (30).Philip G. Kreyenbroek, Op. Cit, pp. 50-55

(31) David Kirkpatrick, Op. Cit, pp. 74-81.

(32) Alan W. Westinghouse, Op. Cit, pp. 102-109.

(33) Khan Demir, Op. Cit, pp. 127-134.

(34) مستشرق ومفكر فرنسي، وُلد في تريغويه بفرنسا عام 1823، ويُعدّ من أبرز أعلام الاستشراق في القرن التاسع عشر، وقد اشتهر بدراساته في اللغات السامية وتاريخ الأديان. وقد مثّل رينان الاتجاه الفيلولوجي-اللغوي في الاستشراق الأوروبي، حيث ركّز على دراسة النصوص الدينية والتاريخية من منظور نقدي مقارنة. توفي في باريس عام 1892. للمزيد ينظر:

.Edward Said, Op. Cit, p. 132

(35).Ernest Renan, Op. Cit, pp. 40-45

(36) مؤرخ ومفكر بريطاني، وُلد في لندن عام 1889، وقد عُرف بنظريته في تفسير نشوء الحضارات وانهيارها، لا سيما في مؤلفه (دراسة التاريخ)، كما تناول في بعض كتاباته قضايا العالم الإسلامي والأقليات ضمن إطار تحليله الحضاري المقارن. توفي في يورك بإنجلترا عام 1975. للمزيد ينظر:

William H. McNeill, Arnold J. Toynbee: A Life, Oxford University Press, Oxford (UK), 1989, pp. 3-5

(37)Arnold Toynbee, Islamic Civilization and Minorities, Oxford University Press, Oxford (UK), 1948, pp. 102-108.

(38) باحث غربي معاصر في دراسات الأديان، عُرف بدراساته حول الديانة الأيزيدية وتاريخ الأقليات الدينية في الشرق الأوسط، وتركّزت أعماله على تحليل البنية العقديّة والاجتماعية للأيزيديين في سياقها التاريخي. للمزيد ينظر:

Alan W. Westinghouse, Op. Cit, pp. 1-6.

(39) آلان ويستغهاوس، المصدر السابق، ص 52-56.

(40).Philip Seymour, Op. Cit, pp. 108-110; Ernest Renan, Op. Cit, pp. 210-215

(41).Edward Said, Op. Cit, pp. 130-140

(42) سارة السامرائي، المصدر السابق، ص 92-95.

(43) إدوارد سعيد، المصدر السابق، ص 320-323.

(44).Mark Baz, Op. Cit, pp. 57-60

(45).Philip G. Kreyenbroek, Op. Cit, pp. 15-20

(46) نهاد كنعان، المصدر السابق، ص 105-108؛

Khanna Omarkhali, The Yezidi Religious Textual Tradition, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, Germany, 2017, pp. 50-55

(47) محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، تاريخ الأمم والملوك، ج6، تحقيق: دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص 189-193.

- (48) ينظر: علي بن محمد بن الأثير (ت 630 هـ)، الكامل في التاريخ، ج10، تحقيق: محمد عبد الحي فوزي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 1965، ص 210-215؛ أحمد بن محمد المقدسي (ت 380 هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: دار صادر، بيروت، 1992، ص 45-48.
- (49) محمد بن إدريس الشافعي (ت 204 هـ)، الأم، ج 4، تحقيق: د. عبد الفتاح أبو غدة، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 2001، ص 122-125. ينظر أيضاً: محمد الطيّب، فقه الأقليات الدينية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005، ص 45-50.
- (50) الشافعي، المصدر السابق، ج 4، ص 129-130. ينظر أيضاً: عبد الرحمن بن قاسم، المسائل الفقهية في حقوق غير المسلمين، دار الكتب، بغداد، 1999، ص 32-40.
- (51) أحمد بن بن محمد خلّكان (ت 681 هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 2، دار صادر، بيروت، 1968، ص 310-315.
- (52) المقدسي، المصدر السابق، ص 110-115.
- (53) علي الخطيب، قراءات في الجماعات الدينية داخل الإسلام، دار المعرفة، بيروت، 2007، ص 110-114.
- (54) المقدسي، المصدر السابق، ص 110-115.
- (55) سامي عمران، نقد المصادر التاريخية الإسلامية، مطبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، 2011، ص 132-135.
- (56) .Khanna Omarkhali, Op. Cit, pp. 50-56 .

قائمة

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر باللغات الأجنبية:

- 1-Alan W. Westinghouse, The Yezidi Religion: A Historical and Analytical Study, Routledge, London, 2008 .
- 2-Arnold Toynbee, Islamic Civilization and Minorities, Oxford University Press, Oxford (UK), 1948 .
- 3-Claude Lévi-Strauss, Anthropology and Myth, Basil Blackwell, Oxford (UK), 1987 .
- 4-David Kirkpatrick, The Yazidis in the Middle East: A Geographical Study, University of London Press, London, 1995 .
- 5-Edward Said, Orientalism, Pantheon Books, New York (USA), 1978 .
- 6-Émile Durkheim, The Rules of Sociological Method, Free Press, New York, USA, 1982 .
- 7-Ernest Renan, Histoire générale et système comparé des langues sémitiques, Imprimerie Impériale, Paris, 1855 .
- 8- James P. Turner, Philology: The Forgotten Origins of the Modern Humanities, Princeton University Press, Princeton, USA, 2014 .
- 9- Khan Demir, Persecution and Migration: Yazidis through the Centuries, Dar Al-Afaq, Ankara, Türkiye, 2004 .
- 10- Khanna Omarkhali, The Yezidi Religious Textual Tradition, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, Germany, 2017 .

- 11- Lawrence Brown, Culture and Religion: An Anthropological Perspective, .
.Cambridge Press, London, 1994
- 12- Mark Baz, History of Religious Minorities in Islam, Routledge Press, .
.Bristol (UK), 2015
- 13- Paul Tullock, Law and Religion: A Study in Minorities, Oxford University .
.Press, Oxford (UK), 2003
- 14-Philip G. Kreyenbroek, Yezidism: Its Background, Observances and .
.Textual Tradition, Edwin Mellen Press, Lewiston (USA), 1995
- 15-William H. McNeill, Arnold J. Toynbee: A Life, Oxford University Press, .
.Oxford (UK), 1989

ثانياً: البحوث والدراسات الأجنبية المنشورة في المجالات العلمية:

- 1- Ann Draper, “Minority Categorization and Orientalist Discourses”, Journal .
.Vol. (9), Brill, Holland, 2010 ‘of Religious Minorities
- 2- James b. Bellamy, “Orientalism: Past and Present Trends”, Journal of Middle .
.Eastern Studies, Vol. (12), No. (3), University of Edinburgh, UK, 2001
- 3- Joseph Schacht, “Comparative Religion and Islamic Minorities”, Islamic .
.Studies Quarterly, Vol. (5), International Islamic University, Islamabad, Pakistan,
.1988
- 4- Philip Seymour, “Yazidism: Belief and Ritual”, Journal of Near Eastern .
.Vol. (17), Brill Academic Publishers, Leiden, Holland, 2010 ‘Religions

ثالثاً: المصادر العربية:

1. أحمد بن بن محمد خلّكان (ت 681 هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، دار صادر، بيروت، 1968.
2. أحمد بن محمد المقدسي (ت 380 هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: دار صادر، بيروت، 1992.
3. علي بن محمد بن الأثير (ت 630 هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد عبد الحي فوزي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 1965.
4. محمد بن إدريس الشافعي (ت 204 هـ)، الأم، تحقيق: د. عبد الفتاح أبو غدة، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 2001.
5. محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

رابعاً: المراجع العربية:

1. إدوارد سعيد، الاستشراق: الدراسة الغربية للإسلام والشرق، ترجمة: عطية الزهراني، دار الهلال، الرياض، 2006.
2. آلان ويستغهاوس، الدين اليزيدي: دراسة تحليلية، ترجمة: محمد الرميحي، دار الرافدين، بغداد، 2008.
3. هاملتون جب، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968.

خامساً: المراجع العربية:

1. سامي عمران، نقد المصادر التاريخية الإسلامية، مطبعة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، 2011.
2. عبد الرحمن بن قاسم، المسائل الفقهية في حقوق غير المسلمين، دار الكتب، بغداد، 1999.
3. علي الخطيب، قراءات في الجماعات الدينية داخل الإسلام، دار المعرفة، بيروت، 2007.
4. محمد الطيّب، فقه الأقليات الدينية في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005.
5. محمد عابد الجابري، قضايا الحضارة الإسلامية، المركز الجامعي للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1998.
6. نهاد كنعان، الأقليات الدينية في العالم الإسلامي، دار الثقافة، بيروت، 1999.

سادساً: البحوث والدراسات المنشورة في المجالات العلمية:

1. سارة السامرائي، "الاحتفالات الموسمية لدى اليزيديين: الرموز والدلالات"، مجلة الأنثروبولوجيا الاجتماعية، المجلد (13)، الجمعية الملكية للأنثروبولوجيا، المملكة المتحدة، 2018.
2. ليلي جواد علي، "التغيرات الديمغرافية لدى اليزيديين في القرن العشرين"، مجلة الدراسات العراقية، العدد (27)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2012.

المستخلص باللغة الانكليزية

Abstract

This study examines religious minorities in the Islamic world, focusing specifically on the Yazidis as a case study, in light of classical Islamic historical sources and Orientalist studies. The research aims to critically revisit original Islamic sources to clarify their perspective on religious minorities, understand the nature of social and political relations between the Muslim majority and minority communities, and assess the accuracy of information provided by Orientalists regarding the Yazidis.

The study employs a historical-analytical methodology, based on classical sources such as al-Tabari, Ibn al-Athir, al-Maqdisi, and Ahmad ibn Khalkan, alongside jurisprudential works addressing the status of non-Muslims, and compares these sources with recognized Orientalist studies. A critical approach is applied to determine what is historically reliable and what may be influenced by biases or stereotypical impressions, thereby providing an accurate understanding of the Yazidis' position within the Islamic milieu.

The findings indicate that classical Islamic sources provide significant references to the Yazidis, even if not in detail, and reveal that the relationship between the Muslim majority and the Yazidi minority varied across time and place, ranging from

partial coexistence and legal protection to periods of tension or conflict. The study also shows that while Orientalist studies have contributed to highlighting the Yazidis, they sometimes include stereotypical or partial portrayals that require correction through careful analysis of the original Islamic sources.

The research concludes that the Yazidis were able to preserve their religious and social identity despite various challenges, and that Islamic sources offer a solid foundation for reconstructing their history and correcting certain misconceptions found in Orientalist accounts. The study recommends relying on original sources, analyzing social and political relations within the historical Islamic framework, and utilizing comparisons between Islamic sources and Orientalist studies to achieve a balanced and objective understanding.
